بتاريخ 25 جمادى الثانى 1445
الاوامر

الجلسة 49

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينْ

مُعالجةُ مقالةِ السيد الخوئيّ
لقد تبنّى السيّدُ الخوئيُّ ـ حول حقيقةِ الإنشاء ـ بأنَّه إبرازُ الاعتبار النفسانيّ و نراه قد استَخدَمَ هذه المنهجيَّةَ في الفقه كثيراً، فهذا الإبرازُ في إطارِ الإخبار هو نفسُ إظهارِ الحكاية و في نطاقِ الإنشائيّاتِ إظهارُ الإرادة النفسانيّةِ، و أمامَك نصُّ عبارتِه:

إذا عرفت ذلك فنقول: قد ظهر ممّا قدّمناه أنّ الجملة الإنشائية ـ بناءً على ما بيّناه من أنّ الوضع عبارة عن التعهد والالتزام النفساني ـ موضوعة لابراز أمر نفساني خاص (كما اعتقده المحقق الهمدانيّ) فكل متكلم متعهد بأ نّه متى ما قصد إبراز ذلك يتكلم بالجملة الإنشائية، مثلًا إذا قصد إبراز اعتبار الملكية يتكلم بصيغة بعت أو ملكت، وإذا قصد إبراز اعتبار الزوجية يبرزه بقوله: زوّجت أو أنكحت، وإذا قصد إبراز اعتبار كون المادة على عهدة المخاطب يتكلم بصيغة إفعل ونحوها، وهكذا، ومن هنا قلنا إنّه لا فرق بينها وبين الجملة الخبرية في الدلالة الوضعية والابراز الخارجي، فكما أ نّها مبرزة لاعتبار من الاعتبارات كالملكية والزوجية ونحوهما، فكذلك تلك مبرزة لقصد الحكاية والاخبار عن الواقع ونفس الأمر.

ثمَّ رفض مُعتقَدَ المحقّقِ الاصفهانيّ حولَ "تنزيل اللفظ منزلةَ المعنى ذاتاً" بأنّ حقيقةَ الإنشاءِ لا يَنحصِرُ في مسلك التنزيل، فإنّ خصوصياتِ المعنى كالحسن و القبح المعنائيّ، تَسري إلى اللفظ حتى وفقاً لغير مسلك التنزيل، إذ الذي يُعدّي خصالَ المعنى إلى اللفظ هي الدلالة بحيث إنّ علقةَ الدلالة ما بين اللفظ و المعنى تُشكّلُ ترابُطاً حكيماً ما بينهما فتتعدّى مواصفاتُ المعنى إلى اللفظ أيضاً، فلا ينحصرُ تفسيرُ الإنشاء على فكرةِ التنزيل، نعم وفقاً لفكرة التنزيل يُعدُّ وجودُ اللفظ عينَ وجود المعنى فتَتَسرّى الخصوصيات أيضاً ولكن هناك سُبلٌ أخرى أيضاً كالدلالة كما بيَّنّا ذلك.

ثم استَشكلَ السيّد الخوئيُّ على المحقق الآخوند قائلاً:

فتحصّل ممّا ذكرناه: أ نّه لا وجه لما ذكره المحقق صاحب الكفاية (قدس سره) من أنّ طبيعي المعنى في الإنشاء والاخبار واحد، وإنّما الاختلاف بينهما من ناحية الداعي إلى الاستعمال، فانّك عرفت اختلاف المعنى فيهما، فانّه في الجملة الخبرية شيء (مبرزٌ لقصد الحكاية والاخبار عن الواقع) وفي الجملة الانشائيّةِ شيء آخر (مبرزٌ للإرادةِ في الاعتبارات كالملكية والزوجية فليس الإنشاء و الإخبارُ مُتّحِدَين في طبيعيّ المعنى).

وممّا يؤكّد ما ذكرناه: أ نّه لو كان معنى الانشاء والاخبار واحداً بالذات والحقيقة، وكان الاختلاف بينهما من ناحية الداعي، كان اللازم أن يصح استعمال الجملة الاسمية في مقام الطلب كما يصح استعمال الجملة الفعلية فيه، بأن يقال: المتكلم في الصلاة معيد صلاته، كما يقال إنّه يعيد صلاته أو إنّه إذا تكلم في صلاته أعاد صلاته، مع أ نّه من أفحش الأغلاط، ضرورة وضوح غلطية استعمال "زيد قائم" في مقام طلب القيام منه، فانّه ممّا لم يعهد في أيّ لغة من اللغات.نعم، يصح إنشاء المادة بالجملة الاسمية، كما في جملة أنت حر في وجه اللّه أو هند طالق، ونحو ذلك.[1]

ثم عرَجَ السيّد الخوئيُّ إلى الكلام النفسيّ المجلّد التالي حيث قد هاجمَ حقيقةَ الكلامِ النفسيّ بأنّه لا واقعَ لهذا الكلام لا وفقاً لمَنهَجِ المشهور و لا وفقاً لمَنهجِ إبرازِ الأمر النفسانيّ، و إليكَ مقالتَه في هذا الميدان:

بعد ذلك نقول: ان مدلول الجمل الإنشائية على كلتا النظريتين ليس من سنخ الكلام النفسيّ عند القائلين به:

1. اما على نظرية المشهور فواضح، لما عرفت من ان الكلام النفسيّ عندهم (الأشاعرة) عبارة عن 1.صفة قائمة بالنفس في مقابل سائر الصفات النفسانيّة، 2.و قديم كغيرها من الصفات الأزلية، و بطبيعة الحال إن إيجاد المعنى باللفظ فاقد لهاتين الركيزتين معاً: أما الرّكيزة الأولى فلأنه (إيجاد المعنى باللفظ) ليس من الأمور النفسانيّة، ليكون قائماً بها. و اما الثانية فلفرض انه حادث بحدوث اللفظ، و ليس بقديم.

2. و اما على نظريتنا فأيضاً الأمر كذلك، فإن إبراز الأمر الاعتباري ليس من الأمور النفسانيّة أيضاً، فالنتيجة لحدّ الآن أنه لا يعقل في موارد الجمل الخبرية، و الإنشائية ما يصلح ان يكون من سنخ الكلام النفسيّ، و من هنا قلنا أنه لا يخرج عن مجرد وهم و خيال، فلا واقع موضوعي له.[2]

إذن فنَجمَعُ الآراءَ المُستخلَصةَ ضمنَ الأرقامِ التّاليةِ:

1. المشهور: إيجاد المعنى باللفظ في عالمِ الاعتبار.

2. المحقّق الآخوند: إيجاد المعنى باللفظ في نفس الأمر

3. المحقّق الاصفهانيّ: اللفظُ وجودٌ تنزيليٌّ للمَعنى.

4. السيدُ الخوئي: إظهارُ الاعتبار النفسانيّ. وكذلك الشيخُ الحائريُّ، و قد استَحضَرنا عَبائِرَهم بأسرِها مسبقاً فلاحِظها.

إشكاليّاتٌ عِدَّة على اتّجاه السيّد الخوئيّ

1. إنّ السيّدَ الخوئيَّ قد بنى نَظريَّتَه في بابيِ الوضعِ و الإنشاءِ على "قصدِ الاعتبارِ الشخصيّ في النّفس" حيث قد عبّرَ عن الوضعِ بالتعهد ما بين الطرفين، سواءٌ قد تَعاهَدَه و اعتبرَه المولى العرفيُّ أو اللهُ سبحانَه، إذن فلو خلَقَ الإنسانُ في نفسه اعتباراً شخصيّاً ثمّ أبرَزَه عبرَ الكلماتِ لأصبحَ هذا الإبرازُ هو نفسَ الإنشاءِ، بينَما نُلاحظُ عليه بأنّ توقُّفَ الإنشاء على الاعتبار الشخصيّ لا يَصدُق بالنسبةِ إلى الله تعالى فإنّه سبحانَه لا يُضاهينا بأن يُلاحظَ شيئاً في نفسه في البدايةِ ثمّ يُبرزُه في نفسِ النبيّ أو الإمام، نعم ربما يَحدُثُ ذلك الاعتبارُ الشخصيُّ في نفوس العقلاء حيث يتصوّرونَ الشيئَ ثم يَشتاقونَه ثم يُصدّقونه ثمّ يُريدونَه ثمّ يُنشأُونَه بالألفاظ خارجاً، ولكنّ هذا الأسلوبَ الإنشائيَّ لا يَتوقّفُ دوماً على قصد الاعتبارِ في جوف النفس، بل ربما أنشأَ عقداً من دونِ أن يَلتفِتَ في باطنِه إلى القصد، إذن فاستحضارُ النيّةِ و القصد لا يُعدّ ركناً في الإنشائيّات و اعتبار الأشياء فلو تلفّظَ بلفظةِ "بعتُ" لتكوّنَ البيعُ تلقائيّاً بل قصد الإيجاد في النفس الباطنيّ.

2. إنّ نَهجَه يَصطدِمُ مع المُرتَكزَاتِ العرفيّة في أفقِ الوضع و الإنشاء، إذ المحورُ هي الرؤيةُ المتعارَفةُ بينما العرفُ لا يُنشأُ بهذا الأسلوب إذ حينما يَتفَوَّهُ ب"بعتُ" فلا يتعاهدُ مع الطرفِ المقابلِ ولا يُبرزُ أمراً نفسانيّاً مقصوداً في الذهن بل وفقاً لميرزا النّائينيّ ـ حيث قد رَفضَ السببيّةَ و المسبَبيّةَ للألفاظـ إنّ الألفاظَ تُعدُّ موضوعاً لتحقّق اعتبار الملكية بحيث تُوفّرُ ظرفَ المعنى فحسب، لا أنّ الواضع قد تعاهَدَ مع الناس حين الوضع ثمَّ أبرزَ أمرَه النفسانيَّ خارجاً، إذن فالعرفُ لا يُجبرُ المُنشأَ لكي يَعتبِرَ أمراً شخصيّاً في نفسه مع مخاطبِه، نعم أحياناً يَعتبر المعتبرُ أمراً في نفسه ثمّ يقصدُه ثمّ يُبرزُه.

3. إنَّ سنخيّةَ الإنشاءِ و الخبرِ تُعدُّ من أوصاف اللفظِ كليتَ و لعلَّ و صيغةُ افعل أو فَعلَ أو زيدٌ قائمٌ، بينَما وفقاً لمُعتقدِ السيّد الخوئيّ ستُصبحُ هويّةُ الإنشاءِ و الإخبارِ من أوصاف المعنى لأن السيّدَ قد أوحَدَ ما بينهما في نقطةِ "إبرازِ الأمر النفسانيّ" فكلا المنشأُ و المخبرُ مُبرزانِ لمعنى محدّدٍ باطنيٍّ إلا أنّ المُنشأَ يُبرزُ الإرادةَ و المخبرَ يُبرزُ الحكايةَ.

4. لو دقّقنا في تفسيرِ المشهور بأنّ الإنشاءَ هو "إيجادُ المعنى باللفظ" للاحظنا موافقتَه للمعنى اللغويّ فإنّهم قد فسّروا الإنشاءَ و الإخبارَ بهذه الصّياغةِ، بينَما منهجةُ السيّد الخوئيّ لا تُرافِقُ المعنى اللغويَّ في الإنشاء و الإخبار، فبالتالي، إنّا وفقاً للمشهور نجِدُ إيجاداً للمعنى بواسطةِ اللفظ بينما السيّدُ قد استَنكَرَ الإيجادَ من أساسِه بحيث يرى الإنشاءَ و الإخبارَ إبرازاً فحسب.

5. إنّ الباءَ الجارّةَ في تعريف المشهور "إيجادُ المعنى باللفظ" ليسَ باءَ السبَبيَّةِ كي يُزعمَ منه الإيجادُ التكوينيُّ للمعنى ثمّ يَعتريَ الإشكالُ على المشهور كما زعمه السيّد الخوئيُّ أيضاً، بل الباءُ للاستعانةِ ـأو السببيةِ بمعنى جزءِ العلّةـ فإنّ المشهورَ يَعتقدُ بأنّ العقلاءَ بعونِ اللفظِ يُهيّأُونَ ظرفَ المعنى في عالم الاعتبارِ لا الإيجاد بلون العليّةِ التامّةِ في الخارج كما زعمه المعترضون، إذن فطاقةُ الموجِدِ اللفظيُّ هو بحدِّ المقتضي للموضوع ـجزءِ العلّةِـ في عالم الاعتبار وذلك نظراً إلى البرهانِ العقليّ الشهيرِ بأنَّ اللفظَ لا يُعدُّ في سلسلة عللِ خلقِ المعنى، فبالتالي، ثمّةَ تمايزٌ ما بين الخبر و الإنشاءِ حيث إنّ المخبرَ لا يُولّدُ شيئاً بل يَقُصّ ما حادثَ بينما المُنشأُ يَخلُقُ اعتباراً و يُنشأُ موضوعَ الحكمِ الشرعيّ كالملكية و... .

---

[1] محاضرات فی أصول الفقه (طبع موسسة احياء آثار السيد الخوئي)، ج1، ص: 100

[2] محاضرات في أصول الفقه (طبع دار الهادی)، ج2، ص: 24